

المجلد 09 / العدد 02 / ديسمبر (2025)، ص.ص. 394-402

جماليات التلقي في النص الأدبي: مقارنة مفهومية ومنهجية في رواية جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل لحبيب مونسى

The Aesthetics of Reception in Literary Texts: A Conceptual and Methodological Approach in the Novel His Majesty the Supreme Father: The Danger Coming from the Future by Habib Mounssi.

د. رمضان يوسف

youcef.ramedane@univ-mascara.dz

جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2025/12/02

تاريخ القبول: 2025/09/21

تاريخ الاستلام: 2025/07/07

ملخص: يسعى هذا المقال إلى مقارنة تجربة التلقي الجمالي في النص الأدبي، من خلال دراسة المفهوم والمنهج المرتبطين بالفعل القرائي، وتبيان كيف يتجاوز التلقي الجمالي حدود الفهم السطحي للنصوص نحو اكتشاف أبعادها الفنية والانفعالية. ويرتكز المقال على المنهج التأويلي باعتباره إطارا معرفيا يكشف عن البنى الرمزية والدلالية الكامنة، مع التأكيد على الدور النشط للقارئ في إنتاج المعنى وتأويل النص الأدبي. وقد تم اعتداد رواية جلالته الأب الأعظم - الخطر الآتي من المستقبل لحبيب مونسى أنموذجا تطبيقيًا، لما تتميز به من كثافة رمزية وغنى لغوي وفكري. وقد بينت القراءة أن الرواية تقوم على ثنائية الحق والباطل، وتقدم رؤية سردية جمالية تمزج بين البعد الرمزي والفلسفي. وتوصل المقال إلى أن رواية مونسى تتيح قراءات متعددة المستويات، تجمع بين المتعة الفنية والتأمل القيمي، مما يجعلها نصا مفتوحا على دراسات نقدية وجمالية مستقبلية.

كلمات مفتاحية: - القراءة الجمالية - المنهج التأويلي - التأويل - التلقي.

Abstract:

This article explores the aesthetic reception of literary texts by examining the concept and method related to the act of reading. It shows how aesthetic reading goes beyond surface understanding to reveal the text's artistic and emotional dimensions. The study adopts the interpretive approach as a framework to uncover hidden symbolic and semantic layers, highlighting the reader's active role in meaning-making.

The novel His Majesty the Supreme Father – The Danger Coming from the Future by Habib Mounssi was chosen for its rich symbolism and linguistic depth. The analysis reveals a central conflict between truth and falsehood, framed within a narrative that blends symbolism and philosophical reflection. The article concludes that the novel invites multi-level readings, combining artistic enjoyment with moral contemplation, and offers fertile ground for future critical studies.

Keywords: -Aesthetic Reading -Hermeneutic Approach -Reception -Interpretation.

مقدمة

القراءة ليست مجرد عملية لفهم ما هو مكتوب، بل هي تجربة شعورية وفكرية معا، تأخذنا أحيانا إلى أماكن لم نكن نعرفها، وتمنحنا إحساسا بالجمال لا يمكن التعبير عنه بالكلمات وحدها. كثيرا ما نقرأ نصا أدبيا فنشعر أن شيئا ما

تحرك في داخلنا: صورة شدد انتباهنا، عبارة تركت أثرا، أو مشهد جعلنا نتوقف ونفكر. هذا النوع من التأثير لا يرتبط بالحبكة أو الأفكار فقط، بل بما في النص من جمالية، أي تلك الخصائص الفنية واللغوية التي تمنحه خصوصيته، وتجعله مختلفا عن مجرد كلام عادي.

من هنا جاءت فكرة القراءة الجمالية، وهي قراءة تهتم أكثر بكيفية بناء النص وتأثيره، بدل أن تركز فقط على معناه أو رسالته. إنها طريقة في النظر إلى النص من زاوية الفن واللغة والإحساس، وهي تختلف عن القراءة النقدية التقليدية التي غالبا ما تكون عقلانية وتحليلية. في القراءة الجمالية، يصبح القارئ شريكا في تجربة النص، لا مجرد متلقي سلبي، ويُمنح مساحة للتأمل والتفاعل مع ما يقدمه النص من صور وتعبيرات وإيقاعات.

هذا ما حاولنا أن نقرب منه من خلال قراءة رواية "جلالته الأب الأعظم، الخطر الآتي من المستقبل" للأديب الجزائري حبيب موسى، وهي رواية تنتمي إلى عالم خاص، يفتح أسئلة كثيرة حول الإنسان والمصير والهوية، لكنها في الوقت نفسه، مكتوبة بلغة تحمل الكثير من الحس الجمالي، ما يجعلها مادة خصبة لتجربة قراءة من هذا النوع. فرواية موسى ليست فقط نصا يروي أحداثا، بل هي نص يشغل على اللغة، ويعتمد كثيرا على البنية الفنية والرمزية والإيحائية في التعبير.

لذلك، جاء هذا المقال تحت عنوان: "جماليات التلقي في النص الأدبي: مقارنة مفهومية ومنهجية في رواية جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل لحبيب موسى"، ليطرح بعض الأسئلة حول معنى القراءة الجمالية وكيف نفهمها، وما الذي يميز نص "موسى" من هذه الزاوية. وسينقسم العمل إلى جانب نظري نتناول فيه أهم المفاهيم المرتبطة بالجمال والقراءة الجمالية، ثم إلى جانب تطبيقي اقترنا فيه من الرواية نفسها، محاولين أن نستكشف كيف تتجلى فيها ملامح الجمال الفني، وما الذي تتيحه من تجربة قراءة مختلفة.

أولا : مدخل مفاهيمي:

يعدّ تحديد المفاهيم حجر الزاوية في أي مقارنة نظرية جادة، إذ يتيح ضبط الإطار المعرفي الذي تُبنى عليه الرؤى والتصورات. ومن هذا المنطلق، تقتضي دراسة "القراءة الجمالية للنص الأدبي عند حبيب موسى" الوقوف عند أبرز المفاهيم المرتبطة بهذا الطرح، وفي مقدّمها مفهوم "الجمال والقراءة الجمالية". فالجمال، بوصفه قيمة إنسانية وحضارية، ظل محط اهتمام الفلاسفة والنقاد منذ القدم، وتحول في السياق الأدبي إلى عنصر تأسيسى يساهم في بناء المعنى وتشكيل الذوق.

أما القراءة الجمالية، فهي فعل تأويلي يتجاوز البعد المعلوماتي أو الأيديولوجي للنص، ليستكشف ما يختزنه من طاقات فنية وشاعرية تتصل بالحس والذوق والانفعال.

ولفهم كيف استثمر "حبيب موسى" هذه المفاهيم في مشروعه النقدي، لا بد من تمهيد نظري يُعنى بتأصيلها وتتبع تحولاتها في الفكر الجمالي والفني، وصولا إلى تبين ملامحها الخاصة في طرح الأديب.

تعد نظرية التلقي إحدى أهم النظريات في ميدان الدراسات الأدبية والنقدية؛ التي تبحث في علاقة النص والمتلقي، وتركز على دور القارئ في تحليل النص الأدبي وتفسيره، بدلا من التركيز فقط على المؤلف وبنية النص.

ظهرت هذه النظرية في ستينيات القرن الماضي بألمانيا، وارتبطت بكل من "هانز روبرت جوس" (H.R.Jauss) و "فولفغانغ إيزر" (W.Isère) من مدرسة كُونستانس، وجاءت كرد فعل على المناهج السابقة التي غيّبت دور القارئ إذ "لم يكن القارئ يحظى من قبل بمكانة تجعل منه طرفا مشاركا في إنتاج المعنى، حتى ظهرت نظرية التلقي"¹ التي ترى أن معنى النص يتشكل من خلال تفاعل المتلقي مع النص، وجعلت من القارئ قطبا مركزيا فعلا في عملية تأويل العمل الأدبي وافتتاحه على قراءات متعددة ومتنوعة.

والذي فتح المجال لهذا النوع من القراءة الجمالية هو "جوس" في فكرته "أفق التوقعات" إذ نجده "يركز على سلامة القناة التواصلية بين المبدع والمتلقي من أجل الوصول إلى عملية الفهم لتدقيق التفاعل ومن ثم التأويل"² أي القارئ هو من يقيم عمل المبدع من خلال الاستجابة ثم التفاعل ثم إظهار جاليات العمل.

ويكمل هذه الفكرة "لنزر" في فكرته "الفجوات النصية"، " فالنصوص تحتوي دائما على فراغات لا يملؤها إلا المتلقي وفق ثقافة عصره ما يعني أن النص قابل للتجدد والتأويل بشكل مستمر"³، ويكون هذا وفق منهج معين ومناسب للقراءة، كالمناهج التأويلية أو ما يعرف بالهرمينوطيقي الذي يتناسب مع القراءة الجمالية للأعمال الأدبية والفنية. وتعد القراءة الجمالية نوع من أنواع القراءة، تركز على تلقي النص من زاوية فنية جمالية، تمنح العمل الأدبي طابعا حيا وتخرجه من قوالب التحليل الجامدة؛ إلى فضاء مفتوح على تفاعل لا ينتهي بين المعنى و القارئ، بين التجربة والنص، وبين الأفق والتأويل .

وينصب اهتمام القارئ على الطريقة التي يُبنى بها النص، لا فقط على معناه الظاهري. فالقارئ الجمالي ينشغل باللغة، والصور، والإيقاع، والانزياحات، وكل ما يجعل النص يحمل قيمة فنية تميزه عن الكلام العادي. بهذه الطريقة، تصبح القراءة تجربة حسية وذوقية، يتفاعل فيها القارئ مع الجمال الكامن في الأسلوب والتعبير، أكثر من سعيه لفهم الرسالة أو الفكرة بشكل مباشر.

كما تركز هذه القراءة على أثر النص في القارئ من الناحية الانفعالية والوجدانية، حيث يتحول النص إلى فضاء مفتوح للتأمل والتخيل. فالنص الأدبي، هنا، ليس وثيقة تحليل أو موقفا فكريا فقط، بل هو عمل فني يُحدث لذة ويوقظ الحواس، ويمنح القارئ دورا في بناء المعنى الجمالي، انطلاقا من تفاعله مع مكونات النص الفنية.

أما المنهج التأويلي فهو منهج نقدي يعنى بفهم النصوص وتأويلها، " فهو يوجه المؤول إلى تحويل ذاته- إن جاز التعبير- داخل المؤلف أي فهم الأفكار الداخلية للمؤلف"⁴ وقراءتها قراءة فنية جمالية .

يركز هذا المنهج على فكرة أن فهم النص لا يتم بمعزل عن القارئ، فهو يعزز حرية التأويل، ويؤمن بأن العمل لا يستهلك قراءة واحدة بل يعاد خلقه باستمرار " ضمن هذه العلاقة تتحدد القراءات وتتعدد التأويلات وتتناسل"⁵ وبهذا يكون لكل قارئ مفهومه الخاص للنص.

وهو أسلوب في قراءة النصوص يعتمد على التفسير والتأمل، وليس فقط على الفهم السريع أو المعنى الظاهري. القارئ في هذا المنهج يحاول أن يدخل إلى عمق النص، ويفهم ما وراء الكلمات، ويبحث عن الرموز والدلالات التي قد لا تظهر من القراءة الأولى. فكل نص أدبي يحتوي على طبقات من المعاني، والتأويل هو محاولة لاكتشاف هذه الطبقات من خلال الحوار مع النص.

هذا المنهج يعطي أهمية كبيرة لتجربة القارئ، لأن المعنى لا يكون جاهزا في النص، بل يُبنى من خلال التفاعل بين النص والقارئ. لذلك يمكن أن يخرج كل قارئ بتأويل مختلف، وكل قراءة قد تكشف جانبا جديدا. وهذا ما يجعل المنهج التأويلي غنيا ومرنا، ويمنح النص حياة تتجدد مع كل قراءة جديدة.

ثانيا: قراءة جمالية لرواية "جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل".

في كل قراءة أدبية، تبقى المسافة بين النص والقارئ قائمة، حتى يبدأ هذا الأخير في التفاعل مع ما يقرأ، لا بوصفه متلقيا فقط، بل بوصفه شريكا في بناء المعنى واكتشاف الجمال. فالنص الأدبي لا يُمنح دفعة واحدة، بل يتكشف شيئا فشيئا، من خلال اللغة، والصورة، والإيقاع، والانطباع الذي يتركه في ذهن والوجدان. من هنا، جاءت الرغبة في مقارنة هذه الرواية قراءة جمالية، تتبّع ما تحمله من عناصر فنية تعكس رؤية الكاتب وأسلوبه الخاص في السرد.

هذه الرواية، بما تحمله من إشارات رمزية وعمق دلالي، تُعد نصا أدبيا يستحق تأملا مختلفا، فهي لا تكتفي برواية الأحداث، بل تفتح مساحات للتفكير والتساؤل، وتستند إلى لغة تختار إيقاعها بعناية. إن العالم الذي تفرّحه الرواية عالم متخيّل، لكنه مشحون بقضايا واقعية وفكرية، تطرحها بأسلوب فني لا يخلو من بعد جمالي واضح، يجعل القارئ في حالة يقظة وانتباه دائمين.

ولكي تتمكن من الولوج إلى هذه القراءة الجمالية، لا بد من التوقف أولا عند ملخص الرواية، بوصفه مدخلا لفهم خطوطها العامة، ومسار شخصياتها، وسياق الأحداث التي تقوم عليها. فهذا التمهيد السردى يمكننا من متابعة القراءة لاحقا بنظرة أكثر وعيا بالبناء العام للنص، ويساعد في تحديد نقاط التركيز الجمالي التي سنسلط الضوء عليها في المحاور التالية.

1- ملخص الرواية

رواية "جلالته الأب الأعظم" هي عمل أدبي ينتمي إلى أدب الخيال العلمي، من تأليف الكاتب الجزائري "حبيب موسى" صدرت عن دار الغرب للنشر والتوزيع عام 2001، في 279 صفحة. تبدأ أحداث الرواية بخمسة رسائل قام أصحابها بكتابتها قبيل انتحارهم بلحظات، من أماكن متفرقة في العالم، وتظهر شخصية "جلالته الأب الأعظم" مع زمن آخر رسالة (2026) أين ينتقل السرد إلى عالم مستقبلي يحكمه رجل يهودي، قلب موازين الدنيا، دمر الكنائس والمعابد والمساجد، وأحرق الكتب وأقام دولة جديدة-الدولة العالمية- بدستور جديد، وأنشأ كتابه المقدس، ونصب نفسه إلهًا على البشر. كانت دولته الدولة العالمية قائمة على التكنولوجيا من جهة والجنس والإباحية من جهة أخرى فيما يعرف بقصر الملذات، أين تموت المشاعر، وتبسط سلطة وتسلط "جلالته الأب الأعظم" حيث يعتبر البعض أنفسهم آلات. في وسط هذا الظلام يبرز الطفل "موسى" الذي يجده "الأب الأعظم" في أحد الأحياء المهمشة، فيأخذه لقصره ويربيه ليجعله "الابن الأعظم" ونبيًا يحمله رايته.

يعيش الطفل "موسى" في عزلة عن العالم الخارجي، مع مرور الزمن وتصادد الأحداث يخرج "الابن الأعظم" من القصر ويصدم بما يراه: سلطة جلالته بلغت ذروتها، والآلة سيطرت على العالم كله وألغت وجود الإنسان... بعد مدة من الزمن يلتقي "موسى" بمجموعة من الأشخاص (أحمد، عيسى، عبد الجليل) الذين نقلوا إليه حقيقة الانقلاب الكوني في الأخير تتطور الأحداث لتنتهي الرواية بسقوط الحاكم الشمولي بعد الحركة التي قادها ضده الابن المأمول موسى، الذي كان رمزًا للأمل في التغيير والتجديد لمستقبل أفضل.

2- الكشف عن جماليات المفهوم في رواية "جلالته الأب الأعظم"

لا يمكن الحديث عن نص أدبي دون التوقف عند جمالياته، لأن الجمال عنصر أساسي في تكوينه، وليس مجرد إضافة خارجية. فالرواية لا تعيش فقط بما تقوله، بل بكيفية قولها، بطريقة صياغتها، وصورها، وإيقاعها، وما تثيره في القارئ من أفعال ومتمعة وتأمل. ومن هنا، يصبح من الضروري أن نتساءل: ما الذي يمنح هذه الرواية طابعها الفني الخاص؟ وما هي أبرز الملامح الجمالية التي تميزها عن غيرها؟

في هذا السياق، نحاول في هذا العنصر الوقوف عند بعض الخصائص الجمالية التي تتجلى في الرواية، سواء من حيث اللغة، أو الصور، أو البناء السرد، أو توظيف الرمز. هذه العناصر لا تُقرأ فقط بوصفها تقنيات، بل كجزء من رؤية الكاتب للعالم، وكأسلوب خاص في التعبير والتأثير. فالجمال هنا ليس عنصراً ثانوياً، بل طريقة في التفكير والكتابة والتواصل مع القارئ.

و بناء على الرؤية النقدية، نجد الكاتب "حبيب موسى" يعيد قراءة قصة الصراع الأزلي في روايته بين الحق والباطل، النور والظلمة، الماضي والمستقبل، في قالب علمي مستقبلي. من هذا المنطلق يمكننا الكشف عن جماليات المفهوم في الرواية من خلال تحليل مجموعة من الثنائيات، وتفكيك معانيها الجمالية والمعرفية.

1-2 ثنائية الحق والباطل

رواية "جلالته الأب الأعظم" مبنية على صراع جوهري بين الحق والباطل، ويتجلى هذا الصراع؛ من خلال التوتر بين شخصية الأب الأعظم والشخصيات الهامشية المقاومة، ويمتد هذا التوتر ليشمل الصراع الحضاري بين القوى التي تسعى للهيمنة، والقوى التي تنادي بالعدالة والحرية.

ليظهر الكاتب في نهاية عمله الأدبي، أن الباطل مهما يبدو قويا ومسيطرًا نهايته الانهيار أمام الحق، "فالحق هو الحق لا يتجزأ، لا يقبل المساواة وأصناف الحلول، والباطل هو الباطل مهما تنوعت أساليبه واختلفت مناهجه"⁶. يظهر هذا الطرح أن الرواية لا تكتفي بالسرد، بل تنخرط في موقف أخلاقي واضح، فهي تعيد تذكير القارئ بأن جوهر الصراع الإنساني هو صراع قيم قبل أن يكون صراع مصالح.

2-2 ثنائية النور والظلمة.

تعيد رواية "جلالته الأب الأعظم" صياغة ثنائية النور والظلام في سياق وقالب جديد، بوصفها تمثيلاً عميقاً للصراع بين التسلط والتحرر، وبين الجهل والمعرفة، وبين الحقيقة والوهم، تلعب الرواية على التباس المعنى فتقدم هذه الثنائية في مجموعة من التساؤلات طرحتها البروفيسورة "هيلين.د. أسلو" قبيل انتحارها:

"أين الأسرة؟ أين الأمومة؟ أين المشاعر والعواطف؟ أين الأمل؟..

أين الإنسانية في ذلك؟ أين هي البشرية تساق نحو نحر نووي جرثومي؟

أين هي الأسرة والمجتمع يقتلها شيطان الجنس؟...

أين هي البشرية تنتحر بالخدرات والسموم؟ إنه الموت".⁷

بعد هذه التساؤلات يظهر "الأب الأعظم" الذي غالباً ما يمثل الظلام في معناه العميق، وهو سلطة مطلقة تحكم بالظلم والقمع والحجب والسيطرة والخداع، في مقابل ظلمة السلطة ينهض النور بوصفه رمزاً للبحث عن الحقيقة والاعتناق من الخضوع، وتبرز شخصية "موسى" حاملة لهذا التناقض؛ متيقنة أن "النور جوهر والظلام عارض، النور يمثل العدل والخير، ويمثل الظلام الشر والقيح"⁸، النور يقود للخلاص والظلام يقود للهلاك، وهذه كانت فعلاً نهاية رواية الكاتب حبيب موسى.

2-3 ثنائية الماضي والمستقبل.

يقدم "حبيب موسى" من خلال روايته، رؤية نقدية من الماضي نحو المستقبل، فيصور لنا المستقبل كعنصر تهين التكنولوجيا فيه على حياة الإنسان، والماضي كمرجعية أساسية للحفاظ على الهوية الثقافية والدينية والقيم الإنسانية. تظهر الرواية أن "الماضي إذا لم يزر المستقبل، فإن عقل الإنسان أمسى تأملاً في الظلام"⁹؛ وهذا ما لمخناه من خلال شخصية "الأب الأعظم" المتسلط، وشخصية "موسى" المنقذ. تتداخل الأزمنة في الرواية بشكل يظهر أن "المستقبل بخلاف ما قد نظن، فهو الذي يدفعنا للوراء ويبعدنا إلى الماضي"¹⁰ ليكتسب الماضي قدسيته من خلال العودة للأصل والتاريخ كمصدر للإلهام والتوجيه في مواجهة تحديات المستقبل.

3- تطبيق المنهج التأويلي لفهم بنية النص وإظهار جمالياته.

حين نقرأ نصاً أدبياً، لا يكفي أن نتابع تسلسل الأحداث أو نرصد تصرفات الشخصيات، لأن النص غالباً ما يكون أعمق من ذلك. فهو يحمل بين سطوره إشارات ورموزاً ومعاني لا تظهر مباشرة، بل تحتاج إلى قراءة متأنية ومتأملة. وهنا تظهر أهمية المنهج التأويلي، لأنه يساعدنا على الرجوع إلى النص أكثر من مرة، وطرح الأسئلة لفهم ما وراء الكلمات، وليس فقط ما تقوله ظاهراً.

من خلال هذا المنهج، نستطيع أن نكتشف كيف يُبنى الجمال داخل النص، ليس من خلال اللغة فقط، بل من خلال العلاقة بين الشكل والمعنى، وبين القارئ والنص. فالجمالية هنا لا تكون في الزينة أو الأسلوب الخارجي، بل في الطريقة التي يستخدم بها الكاتب اللغة للتلميح، للإيحاء، ولإثارة التفكير والتأمل لدى القارئ.

وانطلاقاً من أهمية المنهج التأويلي في الكشف عن المعاني العميقة التي لا تظهر في القراءة الأولى، فإن رواية "جلالته الأب الأعظم" - الخطر الآتي من المستقبل - كنص تطبيقي، تحتوي الكثير من الرموز والأبعاد الفكرية تستدعي التأمل والتفسير. فالنص في ظاهره قد يبدو بسيطاً من حيث البناء، لكنه يخفي وراء لغته وأحداثه رؤية فلسفية تستحق أن تُقرأ من زوايا متعددة. ومن هنا، فإن تطبيق هذا المنهج يسمح لنا بالدخول إلى البنية الداخلية للرواية، ومحاولة فهم ما تحمله من دلالات وتأويلات لا تكشف عن نفسها بسهولة، وتشكل في بنيتها الجمالية نصاً تأويلياً يمكن قراءته على النحو الآتي:

3-1 الاستشراف الزمني والإنذار الثقافي.

يعد الزمن بنية أساسية في العمل الروائي، لأنه لا يمكننا تصور قصة أو حكاية أو رواية خالية من هذا البناء المحوري في العملية السردية، فكل خطاب هو ارتباط بالزمن "إذا صنفنا الفنون إلى زمانية ومكانية"¹¹، فإن الرواية هي أكثر الفنون الأدبية التصاقاً به، "تمكن أهمية الزمن الروائي بأنه جسر تسير عليه أحداث الرواية... وتاريخه لفترة زمنية حقيقة كانت أم مجازية"¹².

تتكىء رواية جلالتة الأب الأعظم على رؤية مستقبلية وذلك في تخطيطها للزمن الحاضر واستشرافها لزمان مستقبل غيبي، تتجلى دلالاته بالعنوان الفرعي (الخطر الآتي من المستقبل) هذا الاستشراف ليس تنبؤ بل إنذار علمي ديني ثقافي؛ يحمل بدلالات التحول الحضاري (الدولة العالمية) وانهايار الروح (تحول الإنسان إلى آلة). تركز بنية الزمن السردى في هذه المدونة على إحداث نوع من الذبذبة الزمنية عبر رسائل إنتحارية إستشرافية 2012، ظهور الرجل المعجزة وقيام الدولة العالمية وإحداث خلخلة في الزمن 2026، ظهور الفتى موسى وزوال الدولة العالمية 2099.

إن عملية الترتيب التي ينحوها الخطاب في صناعة الزمن الصاعد الذي تتوالى بداخله الأحداث خطياً؛ يتطلب توظيف تقنيات سردية دقيقة تحفظ توازن الزمن الداخلي للرواية. نجد الشخصية "الرجل المعجزة" هي التي تؤطر للنسق الزمني؛ فهي تتحرك وفق أزمنة لا يستوعبها المدراك العقلي للبشر لأنها تتواجد في كل الأمكنة في زمن واحد. في هذا الأسلوب المميز صنع الروائي حبيب موسى قراءة استشرافية لزمان المستقبل في رواية علمية خيالية يمكن أن تتحقق أحداثها في أرض الواقع مع مرور الزمن فتتآكل الهوية الثقافية نتيجة السلطة القمعية ويفقد الإنسان ذاته حيث يتحول الأفراد إلى آلات ضمن نظام متسلط لا يعترف بوجودهم، وصمت المثقف وخضوعه، ما يشير إلى خطر غياب النقد الثقافي و دوره التنويري.

إذن زمن هذه المدونة "ليس محتوى تتكدس فيه الأحداث، إنما هو زمن يرتبط بنا وبحركات وجودنا"¹³ يسهم في تعرية منظومة الإستبداد وفضح آلياتها اشتغالها من خلال سيرورة سردية زمنية متدرجة تندمج فيها اللحظة الآنية مع المستقبل المحتمل.

2-3 المكان كتجسيد للعزلة والانغلاق.

قوم العمل الفني الروائي على أسس متكاملة أهمها المكان؛ الذي يعد عامل درامي في الرواية، له تأثير على رؤية الكاتب عامة وتشكيل العمل الروائي خاصة، إذ يعمل على ترسيخ مبدأ المصادقية الفنية لوقوع الأحداث وصددها في تشكيل نفسية البطل والشخصيات المصاحبة له...فهو يسهم في خلق المعنى داخل الرواية"¹⁴. شكلت "المدينة العالمية" في الرواية محور أساسي لسيرورة الأحداث، تضم كل العناصر الروائية حيث "لا أحداث ولا شخصيات يمكن أن تلعب دورها في فراغ"¹⁵، الدولة العالمية هنا بمثابة "القاعدة المادية الأولى التي ينبض عليها السرد، منظوية بخلق بناء فضاء خيالي له مقوماته الخاصة"¹⁶ من تطور علمي وتكنولوجي ووسائل الفتك بالبشرية. هذا المكان هو أكثر مكان لتجسيد العزلة والانغلاق، إذ تشكل المدينة العالمية فضاء مأساوياً ذا خضوع تام لإمبراطورية الحاكم الشمولي. الجميع في هذا المكان المظلم تحت الإقامة الجبرية يقول الأب الأعظم: "لقد قسمنا الدولة إلى ثلاثة وثلاثين قطاعاً، وجعلنا على كل مقاطعة حكماً يتولى شؤونها، يساعده في ذلك كاهن من مجلس الكهنة، وعسكري من مجلس العسكرين، ومرابي من مجلس المربين، وقرناً أن نحج إلى القاعة المشرفة مرة كل شهر لنترود بالطاقة الحيوية التي ينعم بها جلالتة الأب الأعظم، ثم نعود إلى مهامنا"¹⁷، نفهم من هذا المقطع أن هذه الدولة شعارها الولاء والعبودية والتبرك بالأب الأعظم أنه الرب. الناس في هذا المكان المعزول تسحب حرياتهم ويضعف التواصل الإنساني بينهم، فيتحول المكان من فضاء للحياة إلى سجن للعزلة والضياع.

3-3 السرد بوصفه تجربة وعي.

يعتبر السرد أحد العناصر الأساسية التي تكون بنية الرواية، ويأخذ أشكالاً متعددة بحسب الزاوية التي يختارها الكاتب لعرض قصته، أما الوعي في السرد يعني "فهم الأحداث والشخصيات وتفاعلها زمانياً ومكانياً، والوقوف على وجهة نظر السارد في بناء سرده"¹⁸، فمن خلال السرد يعاد تشكيل الواقع وتفسيره وفهمه وتحويله من مجرد حدث خارجي، إلى تجربة داخلية يعيشها الوعي ويبعد تشكيلها باللغة والتصوير.

مع بداية الرواية يلاحظ القارئ افتتاح السرد على تعددية الأصوات، ما يمنح النص طابعاً بوليفونيا، هذه الأصوات لا تكتفي بسرد الواقع بل تكشف حالة من القلق و الذعر الوجودي، فيتحول السرد لصراع بين الوعي القائم على الإيمان والحرية، والوعي الخاضع للرقابة.

يشكل الأب الأعظم مركز السلطة المطلقة، إذ يجسد مزيجاً من السلطة التكنولوجية والكاريزما الإيديولوجية، ما يجعل منه تمثيلاً للوعي المستلب في العصر الرقمي، في مقابل سلطته يظهر موسى تقيضاً رمزياً ووعياً مقرداً يرفض الخضوع. "المتأمل لوعي هذا المبدع يجد بحثاً عن شيء يشبه الذات المستقلة عن الآخر، شيء اسمه الموروث الأصيل الذي بإمكانه أن يغينا عن هذا الآخر الذي اعتدنا دائماً أن نقاد وراءه بكل تقديس وانهيار"¹⁹، ما يجعل النص مشروعاً فكرياً وأدبياً يسائل الإنسان في زمن التحول.

4-3 إبراز حضور التناس الديني والقرآني كعنصر تأويلي في الرواية.

التناس هو ظاهرة أدبية ويعني "أن يضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الإقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة... بحيث تندمج هذه النصوص و الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليشكل نص جديد واحد متكامل"²⁰، ففي رواية جلالته الأب الأعظم يوظف حبيب موسى التناس الديني والقرآني كعنصر تأويلي محوري يسهم في بناء الدلالة، وتكثيف المعنى، حيث يستحضر القرآن الكريم ليقارن بين الاستبداد المعاصر، وصور الطغيان في القص القرآني؛ من خلال قصة فرعون والنبي موسى عليه السلام، فشخصية الأب الأعظم في الرواية تمثل الطاغية فرعون الذي ادعى الألوهية والربوبية والسلطة المطلقة في إحالة لقوله "أنا ربكم الأعلى"²¹، أما شخصية الصبي موسى نجدها تشترك مع النبي موسى عليه السلام في مقاومة الاستبداد والبحث عن العدالة، والوقوف في وجه الظالم.

على غرار التناس القرآني نجد الروائي لجأ إلى التناس مع السنة النبوية والحديث الشريف في (فتنة المسيح الدجال)، "فتنة الدجال من أخبار آخر الزمان، ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه وحذر منه"²² يستعان الروائي بهذا التناس للتعبير عن الزيف والخداع حيث تبني شخصية الرجل الأعظم على الكذب والتضليل؛ تماماً كما وصف الدجال في أحاديث نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام. هذه الإشارات تخلق نوعاً من التناس التأويلي الذي يربط الماضي المقدس بالمستقبل المتخيل، وتنبيه للناس على ضرورة الوعي الديني لمواجهة مظاهر الإنهيار الحضاري.

خاتمة

في ضوء ما سبق، يمكن القول إن القراءة الجمالية للنص الأدبي تمثل أفقاً مختلفاً في التعامل مع العمل الإبداعي، لأنها لا تقتفي بتفكيك البنية أو تتبع المعاني الظاهرة، بل تمنح أهمية كبيرة للأثر الفني والانطباع الذوقي الذي يتركه النص في المتلقي. وقد أظهر حبيب موسى، من خلال روايته "جلالته الأب الأعظم"، كيف يمكن للنص أن يشغل على مستويات لغوية وجمالية متعددة، تجعل القارئ يشارك في إنتاج المعنى عبر التأمل والتفاعل والانفعال. ولقد قدم موسى نصاً أدبياً غنياً بالإيحاءات والرموز، يسمح بقراءة تأويلية تنفتح على التأمل الفلسفي والرؤية الجمالية في آن. وهو ما يجعل من تجربته الأدبية نموذجاً صالحاً لدراسة كيف تتداخل الجمالية مع المعنى، وكيف يمكن للقارئ أن يجد متعة فكرية وذوقية في آن واحد. وهكذا تؤكد القراءة الجمالية حضورها كمنهج يعيد للنص الأدبي روحه الفنية، ويبعد للقارئ دوره الحي في فهمه وتذوقه.

وفي رواية جلالته الأب الأعظم نجد حبيب موسى يعيد قراءة قصة الصراع الأزلي عبر مجموعة من الشائيات (الحق والباطل) (النور والظلمة) (الماضي والمستقبل).

أما الزمن في الرواية هو استشراف زمني وإنذار ثقافي، تندمج فيه اللحظة الآنية مع المستقبل المحتمل في ظل التطور التكنولوجي، وشكل المكان في الرواية فضاءاً مأساوياً للعزلة والضيق وسلب الحرية والخضوع للسلطة.

أما السرد في هذا العمل الأدبي فيقوم على الصراع بين الوعي القائم على الحرية، والوعي الخاضع للرقابة. كما لجأ الأديب إلى التناس الديني والقرآني كنوع من التأويل الذي يربط الماضي المقدس بالمستقبل المتخيل، وتنبيه الناس على الوعي الديني لمواجهة الانهيار الحضاري.

وتبقى الحاجة قائمة إلى مزيد من الدراسات التي تتناول أعمال حبيب موسى، من زوايا جمالية وتأويلية مختلفة، بما يسمح بكشف المزيد من أبعاد تجربته السردية، ويفتح المجال لفهم أعمق لعلاقة القارئ بالنص الأدبي في السياق العربي المعاصر.

الإحالات

- ¹ سعيد عمري (سعيد خرو)، الرواية من منظور نظرية التلقي، نموذج تحليلي حول رواية أولاد حارتنا لحبيب محفوظ، منشورات مشروع، مطبعة آتفو، الإصدار السادس، الطبعة الأولى، 2009، ص 08.
- ² محمد بوججر، مفاهيم جاليات التلقي بين ياوس وإيزر، مجلة الخطاب والتواصل، جامعة الجليلي اليابس، كلية الآداب واللغات والفنون، سيدي بلعباس، المجلد الثاني، العدد التاسع، 2022، ص 91.
- ³ آمال قاسمي، قطيعة بن دنيا، جاليات التلقي والقراءة في مضامين البصرية بين ياوس وإيزر، مجلة المعيار، المجلد 25، العدد 59، 2021، ص 610.
- ⁴ عياط فايزة، كرد محمد، المنهج التأويلي عند شلايرماخر، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، المجلد 11، العدد 02، ص 1599.
- ⁵ عبد القادر شريف حسني، القراءات التأويلية بين المبدع والنص والمتلقي، مجلة الباحث، جامعة ابن خلدون، تيارت، العدد الثاني عشر، ص 31.
- ⁶ الشيخ عبد الحميد كشك، حوار بين الحق والباطل، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ص 30.39 (بتصرف)
- ⁷ حبيب موسى، جلالتة الأب الأعظم، الخطر الآتي من المستقبل، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، د ط، 2002، ص 23
- ⁸ جلال جميل محمد، مفهوم الضوء والظلام في العرض المسرحي، دار الكتب، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ص 113
- ⁹ حنة آرندت، بين الماضي والمستقبل، ستة بحوث في الفكر السياسي، نقله إلى العربية عبد الرحمن بشناق، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، ط 1، 2014، ص 35.
- ¹⁰ المرجع نفسه، ص 40.
- ¹¹ سيزا قاسم، بناء الرواية-دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ- مكتبة الأسرة، القاهرة، ط 1، ص 37.
- ¹² محمد بشير المطيري، تشكل الزمن الروائي في روايات خالد اليوسف، مجلة المقاصد في اللغة والأدب، جامعة الملك فيصل، السعودية، المجلد الثاني، العدد الثاني، جوان 2023، ص 186.
- ¹³ مجراوي حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي المغربي، البار البيضاء، ط 1، ص 112.
- ¹⁴ عبد الحكيم محمد شعبان، في الرواية العربية الجديدة (دراسة في آليات السرد وقراءات نصية)، مؤسسة العراق للنشر والتوزيع، ط 1، 2014، ص 80-79 (بتصرف)
- ¹⁵ مديحة سابق، البنية السردية في روايات عزدين جلاوي، دار ألفا للوثائق، ط 1، 2021، ص 111.
- ¹⁶ أحمد طالب، السرد القصصي وجاليات المكان، مجلة الموقف الأدبي، العدد 403، ص 25
- ¹⁷ حبيب موسى، جلالتة الأب الأعظم، ص 66.
- ¹⁸ مصطفى عطية جمعة، الوعي والسرد، دار النسيم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ص 11.
- ¹⁹ بارش زهيرة، الوعي بالتراث السرد في الخطاب النقدي عند سعيد يقطين (مقاربة تحليلية في كتاب الرواية والتراث السرد)، جامعة سطيف، 2016، ص 305
- ²⁰ أحمد الزعبي، التناص نظرية وتطبيقاً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 2، 2000، ص 11.
- ²¹ القرآن الكريم، سورة النازعات، الآية 24
- ²² معلم صفاء، التناص الديني في رواية جلالتة الأب الأعظم لحبيب موسى، مجلة قارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة تبسة، الجزائر، المجلد 4، العدد 4، 2021، ص 717.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، سورة النازعات، الآية 24
- أحمد الزعبي، التناص نظرية وتطبيقاً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 2، 2000.
- أحمد طالب، السرد القصصي وجاليات المكان، مجلة الموقف الأدبي، العدد 403.
- الشيخ عبد الحميد كشك، حوار بين الحق والباطل، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.
- آمال قاسمي، قطيعة بن دنيا، جاليات التلقي والقراءة في مضامين البصرية بين ياوس وإيزر، مجلة المعيار، المجلد 25، العدد 59، 2021.
- بارش زهيرة، الوعي بالتراث السرد في الخطاب النقدي عند سعيد يقطين (مقاربة تحليلية في كتاب الرواية والتراث السرد)، جامعة سطيف، 2016.
- مجراوي حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي المغربي، البار البيضاء، ط 1.
- جلال جميل محمد، مفهوم الضوء والظلام في العرض المسرحي، دار الكتب، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002.
- حبيب موسى، جلالتة الأب الأعظم، الخطر الآتي من المستقبل، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، د ط، 2002.
- حنة آرندت، بين الماضي والمستقبل، ستة بحوث في الفكر السياسي، نقله إلى العربية عبد الرحمن بشناق، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، ط 1، 2014.
- سيزا قاسم، بناء الرواية-دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ- مكتبة الأسرة، القاهرة، ط 1.
- عبد الحكيم محمد شعبان، في الرواية العربية الجديدة (دراسة في آليات السرد وقراءات نصية)، مؤسسة العراق للنشر والتوزيع، ط 1، 2014.

- عبد القادر شريف حسني، القراءات التأويلية بين المبدع والنص والمتلقي، مجلة الباحث، جامعة ابن خلدون، تيارت، العدد الثاني عشر.
- محمد بشير المطيري، تشكل الزمن الروائي في روايات خالد اليوسف، مجلة المقاصد في اللغة والأدب، جامعة الملك فيصل، السعودية، المجلد الثاني، العدد الثاني، جوان 2023.
- مديحة سابق، البنية السردية في روايات عزدين جلاوي، دار ألفا للوثائق، ط1، 2021.
- مصطفى عطية جمعة، الوعي والسرد، دار النسيم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- معلم صفاء، التناص الديني في رواية جلالتة الأب الأعظم لحبيب مونسى، مجلة قارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة تبسة، الجزائر، المجلد 4، العدد4، 2021..
- سعيد عمري (سعيد خرو)، الرواية من منظور نظرية التلقي، نموذج تحليلي حول رواية أولاد حارتنا لحبيب محفوظ، منشورات مشروع، مطبعة آتفو، الإصدار السادس، الطبعة الأولى، 2009.
- عياط فايزة، كرد محمد، المنهج التأويلي عند شلايرماخر، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، المجلد 11، العدد02.
- محمد بوججر، مفاهيم جاليات التلقي بين ياوس وإيزر، مجلة الخطاب والتواصل، جامعة الجيلالي الياابس، كلية الآداب واللغات والفنون، سيدي بلعباس، المجلد الثاني، العدد التاسع، 2022.